أدب الرحلة الجزائري؛ من منطلقات السوسيولوجيا إلى تحدّيات التكنولوجيا

Algerian travel literature; from the foundations of sociology to the challenges of technology

شفيقة بن الشارف

تاريخ الإرسال: 2021/07/16	تاريخ القبول: 2024/06/03	تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

شغف العرب بالرحلة فحظيت باهتمامهم منذ القديم، فأكثروا فيها التأليف، على اختلاف الأسباب وتنوّع المقاصد. وأدب الرحلة الجزائريّ حافل بتجارب الرّحل، مكتنز بعظيم الفوائد. وفي عصر نالت منه التكنولوجيا الحديثة، تأثّر الأدب كغيره من المجالات بهذا الوافد الجديد، فظهر أدب تعدّى حدود الزمان والمكان. فهل سيشهد أدب الرحلة نقلة نوعيّة في عصر صارت فيه الغلبة للصّوت والصّورة؟

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، الأدب الرقمي، مدوّنة السفر.

Abstract:

The Arabs have had always passion for travel. It took their attention since ancient times, so they enormously wrote a lot about it, for different reasons and for variety of purposes. The Algerian travel literature. In an era of modern technology, literature, like other fields, was affected by this newcomer. exceeding the limits of time and space, called "digital travel literature". Will travel literature witness a paradigm shift in an era in which sound and image have prevailed?

Key words:*Travel literature, digital literature, travel blog.*

*** *** ***

المؤلف المرسل: شفيقة بن الشارف chafika.bencharef@univ-biskra.dz

مقدمة:

أدب الرحلة فنّ أدبيّ يحكي مراحل السفر والانتقال من مكان لآخر لأغراض شتّى، اجتمع فيه أدب السيرة والسّرد بعلم السياسة والتاريخ، وعلم الاجتماع،...وغيرها لينتج رحلات غزيرة المضمون جمّة العلوم، قام بها أصحابها لغايات دينية وأخرى علمية، أو سياحية، أو دبلوماسية، سجّلت أحداث زمان أو مكان ما بما احتواه من خصائص أفراده في جميع المجالات، فكانت بحقّ موروثا أدبيّا ومعرفيّا ينير السّبل للباحثين، وقد شهد هذا الفنّ المتميّز بأصالته وإبداعيّته تطوّرا عبر حقب متتالية، إلى أن صار اليوم متعالقا مع التكنولوجيا الرقميّة التي بعثت فيه روحا جديدة من إبداعيّة الصّورة والصّوت فصار "رحلة رقميّة".

أهمية البحث وأهدافه:

تهيّأت للجزائريين من الأسباب ما خصّب رحلاتهم وأثراها، فشهدت ازدهارا ملحوظا، عبّرت عن الذات ومكنوناتها، ورغبتها في السّفر والانتقال. ومنه تتحدّد أهداف البحث في الكشف عن:

-مفهوم أدب الرحلة.

-بواعث ومقاصد الرحلة في الأدب الجزائري وأعلامها.

-مدى تأثير التكنولوجيا الرقمية على أدب الرحلة.

مشكلة البحث:

لقد ألقى الغزو التكنولوجي بضلاله على شتّى مناحي الحياة، ممّا خلق بيئة يتشارك فيها الأفراد معارفهم وخبراتهم وتجاربهم على نطاق واسع تحت شعار "العالم قرية صغيرة". لذلك تتحدّد مشكلته البحث الرئيسية معبّرا عنها بـ: ما مدى تأثير التكنولوجيا الحديثة على أدب الرحلة؟ وقد تفرّعت إلى تساؤلات منها:

-ما المقصود بأدب الرحلة؟ وما خصائصه؟

-ماهي أنواع الرحلة؟ ومَن أعلامها في الأدب الجزائري قديما وحديثا؟

-هل يمكن للتكنولوجيا الحديثة أن تسهم في تطوير هذا الفنّ الأدبي دون المساس بخصائصه؟

فرضيات البحث:

انطلاقا من أهمية البحث وأهدافه، تحدّدت فرضيات البحث في:

-الرحلة فنّ أدبيّ يعبّر عن تجربة شخصية، له خصائصه الفنية التي تفرده عمّا سواه.

-الرحلة أنواع كثيرة، تصنّف تبعا لبواعثها ومقاصدها.

-بفضل شبكة الأنترنت، تجاوزت الرحلة حدود الزمان والمكان .

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي، الذي يهدف إلى إماطة اللثام عن الظاهرة الأدبية (أدب الرحلة)، وتحديد خصائصها وأنواعها، وبيان أثر التكنولوجيا الحديثة "الشابكة" على هذا الفنّ الأدبيّ.

2. أدب الرّحلة؛ المفهوم والخصائص

1.2 تعريف أدب الرحلة:

إنّ محاولة الوقوف على تعريف للمصطلح، يحتّم علينااتحديد دلالة كلّ من "الأدب" و"الرّحلة" في اللغة؛ حيث يرد لفظ "الأدب" بمعنى الدّعوة إلى الطّعام، لكنه توسّع ليعني حثّ الناس على المحامد وإبعادهم عن المساوئ، وفيذلك يقول "ابن منظور" في باب (أدب): "الأدب: الذي يتأدّب به الأديب من الناس إلى المحامد وينهاه عن المقابح، وأصل الأدْبِ الدّعاء، ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاةٌ ومأدُبةٌ."[1]وأمّا "الرحلة"فتعني الانتقال والسفر، قوله: "ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان يرحلُ وهو راحلٌ من قومٍ رُحّلٍ: انتقل...، والتّرحّلُ والارتحال: الانتقال وهو الرّحلة والرُّحلة. والرِّحلة: اسم للارتحال للمسير."[2] وقد أخذ اللفظ في مقاييس اللغة ذات المعنى وبشكل أدقّ، في قوله: "الراءُ والحاءُ واللامُ أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُضيّ في سَفرٍ..."[3]

وعليه فإنّ "أدب الرحلة" يحيل معناه على الكلام الذي يدعوالناس لفضائل الانتقال والسّفر في وجهة أو مقصد يراد السفر إليه.

وأما اصطلاحا؛ فقدشهد "أدب الرحلة" كغيره من الفنون صعوبة في تحديد مفهومه، وذلك مردّه إلى التلاقح الذي عرفه بحقول معرفية متنوّعة؛ كالتاريخ، والجغرافيا، والسياسة، والأجناس. ومن التعريفات ما ورد في معجم مصطلحات اللغة والأدب على أنه: "مجموعة الأثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد."[4]

كما عرّفه المازني بأنه: "أدب اكتشاف للذات وللآخر. للمكان وللزمان قديما وجديدا. فالرحالة كالمكتشف الذي يطارده سؤال دائم عن الإنسان والزمان والمكان، في كل مرحلة يصل إليها، أو يفكر في الوصول إليها."[5]

وسوقا على ما تقدّم، فإنّ هذا الفنّ الأدبيّ قديم بجذوره، حديث بمواكبته جديد الحياة ومتطلّباتها، يقوم على سرد الوقائع والأحداث المصاحبة للسفر، ووصف ما تقع عليه العين أو ما يختلج في النفس من انطباعات خلّفتها عادات وسلوكيات جماعة ما، أو مظاهر بيئة ما.

2.2 أنواع أدب الرحلة:

يتنوّع أدب الرحلة بتنوّع بواعث الرّحلة ومقاصدها، ولعلّ أهمّ الرحلات هي تلك التي شُدّت فيها الرحال شطر المشرق والأماكن الإسلامية المقدّسة، ورحلات طلب العلم، والتجارة، والرحلات الدبلوماسية... وغيرها من الرحلات.

أ- أدب الرحلة الديني: ويطلق عليه أيضا "الرحلة الحجازية"، كون الحجاز قبلة أفئدة المسلمين. فكان الحجّ من أهمّ العوامل التي دفعت بالناس من كلّ فجّ عميق إلى الرحلة والانتقال، لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[6] وعليه يكون "الحجّ من أهمّ البواعث لما كان يتمتّع به المجتمع المغربيّ المسلم من تمسّك بالقيم الروحية، فكان أقصى أماني المسلم أن تتاح له فرصة زيارة

قبر الرسول صلى الله عليه وسلّم، وكان يتحمّل المشاقّ والأخطار في الطريق، إضافة إلى مشاعر الغربة والبعد عن الأهل والأصحاب، وكلّ ذلك عن رغبة وطيب خاطر."[7]

ب- **أدب رحلة طلب العلم:** يدعو الإسلام إلى طلب العلم والمعرفة، وهو فريضة ومطلب يُثاب عليه المسلم ، وذلك في قوله (ﷺ):"منْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ..."[8] لذلك "اهتمّ طلبة العلم منذ القديم بالرّحلة، فقطعوا الصحاري والقفار بحثا عن فائدة، أو سماعا لحديث، أو لقاء لعالم، حتى أصبحت الرّحلة فيما بعد شرطا لازما للعالم عموما، ولعالم الحديث خصوصا."[9] وفي القرآن الكريم نموذج لرحلة موسى في طلب العلم على يد الخضر -عليه السلام- في سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[10].

ج- **أدب الرحلة التجاري:** لقد اقتضت ممارسة التجارة القيام برحلات طويلة وأسفار بعيدة من أجل تأمين سبل الحياة والكسب، والبلاد العربية ذات موقع استراتيجي، ومركز التقاء الطرق التجارية، مما شجّع العرب على الترحال من خلال ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[11] يجوبون أصقاع العالم ينقلون إليها تجارتهم وينقلون منها بضائعهم من بلد لآخر إنْ برّا أو بحرا، ويقول في هذا الصّدد "شوقي ضيف": "كان التّجار يضربون في أراضٍ جديدة؛ عن طريق القوافل، وعن طريق البحر وسفنه، وقد وصلوا في مغامراتهم إلى الصين والهند وشواطئ إفريقية الشرقية والغربية جنوبي خطّ الاستواء"[12].

د- **أدب الرحلة السياحيّ:** ويكون الهدف منها حبّ المجازفة لاكتشاف المجهول، فهناك "من المغامرين السيّاح الذين كان مجال رحلتهم أوسع وأعمّ وأشمل، ساحوا في الأرض دون هدف معيّن واضح، إلّا البحث والاطلاع واكتشاف ما في هذا الكون من خفايا، وما يسكن المناطق من أجناس."[13] ولعلّ الرحالة "ابن بطوطة" الأشهر في هذا النوع من الرحلات. فقد جاب بلدانا وأوطانا، وعرف شعوبا تمتدّ من الشرق الى الغرب ذكرها في رحلته.

هـ- **أدب الرحلة الدبلوماسيّ:** ويشمل هذا النوع: الرحلات التكليفية، وتكون الغاية منها "تفقّد أمر الرّعيّة، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها، فقد تكون في إطار التجسّس أو الاستطلاع."[14] كما كانت هذه الرحلات للتمثيل

الدبلوماسيّ وإقامة علاقات بين الدّول، إذ "كانت السفارات لا تفتر بين الدول العربية والدّول المجاورة من غربية وغير غربية، وكانوا يسجّلون ذلك في رسائلهم."[15]

3.2 خصائص أدب الرحلة:

لكلّ فنّ أدبيّ سمات تميّزه، وللرحلة من الخصائص ما تفردها عن غيرها، كونها ملتقى فنون وعلوم متنوّعة، لذلك اجتمعت لها من خصائص تلك الفنون والعلوم من الإمتاع والإفادة، وهي حصرا لا عدّا: [16]

أ- متعة الحكي (السرد):

هي الخصيصة الأولى في أدب الرحلة، وهي متعة متشابكة، يشتبك فيها ما هو ذاتي ونفسيّ، بما هو موضوعيّ واجتماعيّ، بما هو فنّي وجماليّ، وتبدأ متعة الحكي من الرغبة في الحكي وسرد الذكريات، والمواقف والحوادث التي عايشها الرّحالة، حتى يرتاح من عبء هذه المخزونات النفسية [...] فالحكي وسيلة التخلّص من أيّ مأزق أو شدّة يقع فيها الرحالة.

ب- متعة المشاهدة (الوصف):

لا يقف سرد الرحلة عند مجرّد المتعة السّمعية، بل هناك المتعة الوصفية، متعة قلب السمع إلى بصر، أي أن يصف لك الرحالة الشيء بلغته كأنّك قد رأيت وقد سمعت.

ج- متعة التعرّف (المعرفة):

كلّ ما يحكيه صاحب الرحلة يحدث له لأوّل مرّة، وهو الرحالة المكتشف. لهذا يسمعه المتلقّي لأوّل مرّة وبالتالي يقوّي جانبه المعرفي والتعريفي، ليصبح من خصائص أدب الرحلة، وهي متعة معرفية تضيف خبرات ومعارف "إثنية" عن جغرافيا الأماكن وأخلاق الناس، وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم.

د– التوثيق (التأريخ):

أدب الرحلة وثيقة تاريخية شاهدة على مرحلة محدّدة من الزمان والمكان والإنسان، فالرحلة حين يسجّلها يعرف أنّها ستقرأ في كلّ زمان آت، لهذا يتحرّى جانب الصدق والأمانة في الوصف والحكي.

3. أدب الرحلة الجزائري وأعلامه:

استقطب أدب الرحلة الجزائريين على اختلاف مقاصدهم وتوجّهاتهم، قدّم من خلاله الرحالة كمّا معرفيا تختزنه مدوّنات رحلاتهم؛ عرّفت بجغرافية البلدان، وكشفت عن طبائع المجتمعات وعاداتهم، كما دوّنت المتغيّرات السياسية والتاريخية والاقتصادية، ولم تختلف بواعث ومقاصد الرحلة في الأدب الجزائري عن غيرها؛ فهي رحلة دينية للأماكن المقدّسة، ورحلة علم وطلب معرفة...وغيرها. ولعلّ من أهمّ الرحلات في الأدب الجزائري قديمه وحديثه:

- **رحلة المقري (1041/986هـ):** هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، ابن "مقرة" الواقعة في الزاب بين بريكة والمسيلة، صاحب "رحلة المقري إلى المغرب والمشرق"، اعتنى بتحقيقها "محمد بن معمر" الذي يقول عن قيمة الكتاب: "وهي تتعلّق بحياة المقري الشخصية في تلمسان والمغرب الأقصى ومصر والشام والحجاز. يعالج الحياة الثقافية والأدبية في عصر المؤلّف، وهو يتضمّن في نفس الوقت معلومات تاريخية عن بلاد المغرب وأرض الحجاز واليمن، وبعض القضايا الفقهية والعقدية."[17]

- **رحلة "عبد الرزاق بن حمادوش":** الذي عاش في القرن (12هـ /18م)، نالت رحلته حظا وافرا من الاهتمام، وقد حققها "أبو القاسم سعد الله"، الذي اجتهد في الحصول على نسخة منها بالرباط (المغرب)، بقوله: "توجد النسخة الوحيدة لرحلة ابن حمادوش في المكتبة (الخزانة) العامة بالرباط تحت رقم 463، وهي في شكل مسودّة"[18] ويذكر سعد الله عثوره على نسخة للجزء الثاني من الرحلة وضياع الأول. وعن قيمتها العلمية يقول بأنها: "جزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي[...] تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا وفكريا واجتماعيا، وعن معاصريه: أفكارهم وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم [...] نادرة في

نوعها، وهوفنّ الرحلة، إذ لم يُبق لنا الزمن سوى عدد ضئيل جدا من الرحلات الجزائرية التي تعود إلى العهد العثمانيّ."[19]

- **رحلة الحسين بن محمد الورثيلاني (1125/ 1193هـ):** وهي موسومة بـ "نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار" للإمام العلامة الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني نسبة إلى بني ورثيلان قرب بجاية"[20].

ذكر الورثيلاني في الجزء الأول من رحلته، أنّه ارتحل مع مشايخ عصره إلى نواحي عديدة من الجزائر طلبا للعلم والفقه من مشايخ عصره، فكانت وجهته زيارة "النبي سيدي خالد (بني خالد)، وهو مقام عظيم والوفود تأتيه من المشرق والمغرب للزيارة [...] وقد دخل "طولقة" واجتمع بها أيضا مع أهل الفضل والعلم، وفي ذلك السفر زار الشيخ الغوث "أبا جملين" في المسيلة، كما زار "تدلس"(دلّس)...وغيرها من المناطق التي استهوته بعلمائها وعلومها.[21]

وقد خصص الجزء الثاني من رحلته لزيارة مكة المشرّفة التي قام بها عام 1199هـ، فأطال في وصفها، ووصف مشاعر دخولها، وسرد مراحل إتيان شعائر الحجّ جميعها بوصف دقيق مفعم بفرحة الزيارة المباركة التي خلصت فيها الألسن للذكر والدعاء، وخاض في تفاصيل الرحلة، وذكر كلّ من التقى مفصّلا فيم حدث طيلة الحجّ.

- **رحلة محمد أبوراس الجزائري (1737/ 1823م):** ويذكر "محمد بن عبد الكريم" المحقق في رحلته أنّه"تنقّل في أنحاء القطر الجزائري من غربه إلى شرقه وتجوّل في المغرب الأقصى وتونس ومصر والحجاز وبلاد الشام"[22] ويقول في بيان قيمة كتاب " فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته" بأنّه: "كتاب يقدّم لنا حياة أبي راس نفسه، فهو نوع من السيرة الذاتية، تحدّث فيه المؤلّف عن أهله وبيئته وشيوخه وعلومه وأسفاره ومن لقيهم من علماء المغرب والمشرق."[23]

كما عرفت الرحلات الجزائرية في العصر الحديث إقبالا مختلف المقاصد والغايات، وهي لا تنأى عن سابقاتها، ومنها:

- **رحلة البشير الإبراهيمي (1889-1965):** وجاءت تحت عنوان "رحلتي إلى الأقطار الإسلامية"، والتي قام بها بين (1952-1962)، كانت باتّجاه مصر وباكستان، وتركيا والعراق والحجاز وسوريا والأردن، والأراضي الفلسطينية، يكشف من خلالها عن انبهاره بالمعالم الدينية والثقافية الموجودة بالقاهرة، وافتخاره بجامعتها (الأزهر الشريف)، التي تعدّ مفخرة الشرق، وحجّته على الغرب. وفي رحلته لباكستان، يورد انبهاره بأهل هذه البلاد الإسلامية المتمسّك أهلها بدينهم، والمحافظين على إقامة شعائره، في قوله: "وأعظمت فيهم هذا السّعي الحثيث إلى ذكر اللّه...ثمّ علمت مع طول العشرة محافظتهم الشديدة على إقامة الشعائر، وسعيهم إلى المساجد في الجمعة، لا يتهاونون ولا يترخّصون مع الفقه الصحيح لأحكام الدّين."[24]

- **رحلة مالك بن نبي (1905-1973):** وجاء ذكرها في كتابه "مذكرات شاهد القرن"، والتي ضمّنها قسمين "قسم الطفل" (1905-1930)، وقسم "الطالب" (1930-1939)، والتي ضمّنها مشاهد من حياته وبعض تنقلاته، كالتي ذكر فيها منطقة "آفلو" وعادات أهلها وحسن ضيافتهم وإكرام زائريهم، وفي ذلك يقول: "فأمام كلّ مدعوّ حيث توجد ملعقته التي يغترف بها من الإناء المشترك، وضع طبق فيه من الزّبد الطازج الممزوج بالعسل، والطّبق الذي كان أمامي قد اختصّ بقدر كبير."[25] وفي كتابه العديد من الأحداث الشخصية والتاريخية والثقافية التي عايشها الرحالة في الأنحاء التي قصدها، وذكر لأعلام تلك الفترة. ويؤكّد بن نبيّ على أثر رحلاته في تنامي وعيه بخطورة المستعمر إذ يقول: "ففي قسنطينة وتبسة وأخيرا فرنسا اكتسبت معرفة عملية بخطر الاستعمار."[26]

- **رحلة "أبو القاسم سعد الله" (1930-2013)**؛ التي نشر بعضها في كتابه "تجارب في الأدب والرحلة" والتي ذكر فيها رحلاته إلى المغرب من أجل غايات ثقافية؛ البحث عن مخطوطات تعينه على تأليف كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي"، ويظهر ذلك في قوله: "توجّهت إلى الخزانة العامّة (المكتبة الوطنية) للبحث عن المخطوطات التي جئت من أجلها."[27] كما يذكر رحلته إلى بيت الله الحرام عام 1977، ويذكرها في مؤلّفه، سجّل فيها شوقه إليها واستعداداته الروحية والمادية، وانطباعاته ومشاهداته لهذا البلد. بالإضافة

إلى كتابه "صيف في سوف" الذي يسجّل فيه لعادات وتقاليد "سوف"، وأعراف أهلها، وموروثهم الثقافي الذي يميّزهم عن غيرهم.

واقتصارنا على هؤلاء الرّحالة لا يعني عدم وجود آخرين، فأدب الرحلة الجزائريّ له من الأعلام والأسماء ما لا تتّسع له هذه الورقة البحثية.

4.انعكاسات التكنولوجيا الرقمية على أدب الرحلة:

للتقدّم العلمي الذي شهده عصر النهضة بالغ الأثر على مناحٍ كثيرة من الحياة البشرية، وقد تأثّر الأدب كغيره بهذا الوافد الجديد، والرحلة التي شهدها الإنسان منذ القديم لم تعد في ضوء المتغيّرات الحديثة قاصرة على حدود جغرافية معيّنة.

1.4. المدوّنات بديل للأدب الرّحلي:

لاشكّ أنّ أدب الرحلة قد نحى منحًى جديدا، متأثرا بسلطة الصّورة والصّوت، فقد قفزت كتابة الرحلة قفزة هائلة غيّرت نمطها، وطوّرت أدواتها في ظل هيمنة "الشابكة"، فظهرت المدوّنات كمنافذ نحو عالم السفر والترحال.

أ- تعريف المدوّنة (Blog):

إنّ الثورة المعرفية التي شهدها عالم الاتصالات في عصرنا بميلاد الشبكة العنكبوتية، قد أثّرت على نمط وسبل الوصول للآخر، فلم يعد الارتحال والسفر إلى أماكن بعيدة يتطلّب أكثر من "نقر" على زرّ أحد المواقع الإلكترونية، لتمنح له فرصة التنقّل دون أن يزحزح مكانه، إنها "مدوّنة السفر" أو "المدوّنة الإلكترونية" وتعرف بالإنجليزية باسم Blog، وهي نحت لكلمتي (web) و(log)، وتعني "سجلّ الشبكة"، ويطلق عليها أيضا اسم المدوّنة "وهي تطبيق من تطبيقات الأنترنيت تعمل من خلال إدارة تنظيم المحتوى مؤرّخة ومرتّبة ترتيبا زمنيا تصاعديا، ويكون لكلّ تدوينية اسم دائم ومسار لا يتغير منذ لحظة إنشائها ممّا يمكّن القارئ من الرّجوع إليها في أيّ وقت."[28]

ويعرّفها برادلي (Bradley) بأنّها: "صفحة على الويب تحتوي على مقالات عامّة قصيرة، منظّمة وفقا لترتيب زمنيّ، مؤرشفة، ومحدثة بانتظام، تحتوي على مجموعة من

الآراء والتعليقات الشّخصية، تتبع في إنشائها وتأليفها برامج خاصّة بها، وتقوم بوصلات لمواقع أخرى."[29]

أما "باحميدان" فيرى بأنها: "صفحة ويب بعنوان متغيّر، تمكّن المدوّن من تدوين ما يرغب فيه من أفكار وآراء وخواطر وأحداث ومواضيع في شتّى مجالات الحياة العلمية والعملية في شكل نصوص أو صور أو فيديو."[30]

ومما تقدّم يمكن تعريفها إجرائيا بأنها صفحة على الأنترنت، تسمح للمدوّن بتسجيل الأفكار والتجارب، وما يدور حوله من متغيّرات تمسّ جوانب الحياة المختلفة، تكون مرتبة زمنيا، في شكل مكتوب أو مصوّر، يسمح بتتبّعها من طرف القرّاء أو المشاهدين.

ب- أنواع المدوّنات الإلكترونية:

مكّنت الشبكة العنكبوتية الأفراد من التواصل وإضافة معلومات تتعلّق بجانب من جوانب حياتهم، ومشاركتها على نطاق واسع وتوزيعها، متجاوزين بذلك حدود المكان والزمان، وهي أنواع منها:[31]

المدوّنة السياسية: ويلجأ إليها الساسة للتواصل مع الناخبين والرأي العام. إنها منافذ لاستمالة الناخبين وإقناعهم، ووسيط للإجابة على تساؤلات واستفسارات القراء والمهتمّين بالشّؤون العامّة.

المدونة التعليمية: وترتبط بمفهوم التّعليم الإلكترونيّ، وهي نوع من المدوّنات يديرها المعلّم مع المتعلّمين ليتجاوزوا قصورهم في فهم المادة الدراسية، فيتمّ معالجة ذلك باستخدام روابط (links) ذات علاقة بالموضوع.

مدونات مؤسّساتية: وتسهم في إضفاء بُعد إنسانيّ على المؤسّسة، حيث يستعملها رؤساء المؤسسات والموظّفون والنّقابيون للحديث في مسائل تهمّ المؤسّسة.

المدوّنة الإعلامية: وهي شكل من أشكال الصحافة، تشكّل عينا ساهرة ترعى المستجدّات الإعلامية، والاجتماعية، والاقتصادية، تتناولها بالنقد والتحليل، وعرض الأفكار والآراء بعيدا عن إكراهات الصّحافة التقليدية.

مدوّنات النّشر: وظهرت كردّ فعل على صعوبات النشر التقليدية، فسهّلته بالاعتماد على الأنترنيت، واتّخذت من المدوّنات فضاء لنشر المقالات والإبداعات بدلا من النّشر الورقيّ.

مدوّنات السّفر: وهي "تجربة شخصية، تتضمّن وجهة نظر عن المناطق التي يزورها المدوّن، ويحرص على ذكر مشاعره تجاه المكان، بهدف تذكّرها واستحضار مشاعره حين قراءتها مرّة أخرى، وذكر المعلومات التي ستفيد القارئ، فهي مرجع للمناطق السياحية."[32] وبنشرها على الأنترنيت تكون قد "استفادت بشكل إيجابيّ من شبكات التواصل الاجتماعيّ، سواء بمقال مكتوب أو صورة معبّرة أو فيديو واقعي، [...] مثل الإنستغرام ليشارك المتلقّي بشكل تفاعليّ مميّز،[...] مستخدما كلّ صور التوثيق من حوارات وأشعار وقصص تاريخية تؤكّد مصداقية معلوماته."[33]

لقد صار للرحلة منافذ جديدة للمتلقي؛ الإنستغرام، يوتيوب...وكلها انبثقت من التطوّر العلميّ المحتوم بعوامل الطبيعة والتقدّم التكنولوجيّ في وسائل السفر والاتصالات، فتقلّصت فيه الزمانية وتعدّدت الأمكنة، وتنوّعت الغايات، فصار الرحالة مسافرا لأغراض تجارية، أو سياسية، أو طبّية، أو سياحية.[34]

2.4 المدوّنات الجزائرية وآفاق الرّحلة الإلكترونية:

شهدت الجزائر في السنوات الأخيرة إقبالا وتزايدا ملحوظا على استعمال مواقع شبكة الأنترنيت، وهي مختلفة الاتجاهات؛ السياسية، والاقتصادية، والرياضية، والتعليمية، وغيرها من المجالات التي تلقى قبولا ورواجا في أوساط المجتمع الجزائريّ، ومن أهمّ هذه المواقع:[35]

موقع dzblog.com: وتمّ إنشاؤه مطلع عام 2006 بالشّراكة مع منصّة over-blog.com التابعة لشركة JFG Networks المصنّفة ثانيا في أوربا. "ويقدّم موقع

dzblog.com فرصة للجزائريين في إنشاء مدوّناتهم الشّخصية في أكثر من 50 فئة مثل: اليوميات، مدونات السفر، صور الألبوم، الأحياء والبلديات، الجمعيات، الاقتصاد، الرّياضة، الطبخ...إلخ

موقع bloginy.com: وأنشئ عام 2008 من طرف المدوّن "رياض بن قلة"، يحتوي على 207 مدوّنة جزائرية، وينشر على صفحاته حوالي 2000 مقال شهريا في مختلف الموضوعات، وهي تتنوّع بين تجارب شخصية أو تحليل علمي لمشكل ما في الجزائر، أو عرض تجارب أجنبية ناجحة.

إنّ "تظافر الأدب مع التقنية لبناء عمل لا نستطيع فصل الكلمة عن الصوت، أو الصّورة الثابتة، أو الصورة المتحرّكة، أو الصورة الحية/الفيديو"[36] صار حتمية في عصرنا، نتج عنها ما يسمى بـ "الأدب التفاعلي" أو"الأدب الرقميّ"، وهو ما يعرّفه به "فيليب بوطز"(Philip Bootz) بأنّه: "كلّ شكل سرديّ أو شعريّ يستعمل الجهاز المعلوماتيّ وسيطا، ويوظّف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط"[37] إنّه أدب مرتبط بالإعلام الآلي ومستفيد من خصائصه التقنية. بينما يعرّفه "عمر زرفاوي" بأنّه: "جنس أدبيّ جديد تخلّق في رحم التّقنية، قوامه التفاعل والترابط، يستثمر إمكانات التكنولوجيا الحديثة [...] يجمع بين الأدبية والإلكترونية."[38] فالكاتب لم يعد يعتمد على سلطة الكلمة، بل دعّمها بما تتيحه الوسائط من إمكانات الصورة والصوت واللون والحركة، لقد صار النص يُقرأ ويسمع ويُستقبل بتوظيف جميع العمليات الإدراكية في التواصل الإنسانيّ.

إنّ تنامي الاهتمام بالمدوّنات في العالم عموما، وفي المجتمع الجزائري خصوصا مع توسّع "الشابكة" وتعدّد مواقع التواصل الاجتماعيّ، يعطي فرصا نوعيّة للنهوض بالرحلة، لتكون نافذة علمية وثقافية وسياحية، ترسم معالم جديدة لأدب السفر، وتتيح فرصا للتعبير عن تجارب رحليّة واقعيّة باستثمار الإمكانات التّقنية المتاحة، دون إغفال الجانب اللّغوي والخصائص الفنّية التي تسيّج هذا الفنّ المتعدّد المحتوى.

5. خاتمة:

وفي ختام هذه الدّراسة خلصت الباحثة إلى مجموعة من النّتائج أهمّها:

- الرّحلة فنّ أدبيّ يتعلّق بالسفر والانتقال، يعبّر عن كوامن الرحالة وأفكارهم ومواقفهم تجاه البيئة التي تواجدوا بها.

- يتنوّع أدب الرحلة بتنوّع بواعث الارتحال ومقاصده؛ فهو ديني، وعلمي، وتجاري، وسياحي، ودبلوماسي.

- يكتنز أدب الرحلة على موروث تاريخيّ وعلميّ وثقافيّ لمجتمع من المجتمعات.

- أدب الرّحلة فنّ تتعالق فيه التجربة الاجتماعية بالأدب السّرديّ.

- الأدب الجزائريّ ثريّ بمدوّنات أدب الرحلة على اختلاف الزّمان والمكان.

- يمكن أن تفتح الشابكة فضاء جديدا للرّحلة، لتحدث بلا حدود مكانية أو زمانية. تتمّ من خلال المدوّنات عبر الانستغرام، يوتيوب ... وغيرها.

- تجاوز الرحلة لهيمنة الكلمة إلى فضاء الصّورة والصّوت نتج عنه "أدب رحليّ رقمي" تفاعلي بين الرّحالة والمتلقّي.

- يمكن للمدوّنات الرقميّة أن تصبح فضاء لأدب الرّحلة إذا تمّ استغلال التّدوين وتوجيهه، مع المحافظة على خصائصه اللغوية وجمالياته الفنّية.

6. الهوامش:

[1] جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، مج 1، مادة (أدب)، دار صادر، (د ط)، بيروت، ص206.

[2] المرجع نفسه، مج 11، مادة (رحل)، ص278، 279.

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ج2، دار الجيل بيروت، ط1، 1991، ص498.

[4] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984، ص17.

[5] إبراهيم عبد القادر المازني، رحلة الشام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008، ج1، ص11.

[6] سورة الحج، الآية 27.

[7] علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، (د ط)، دمشق، 2013، ص12.

[8] رواه أبو داود والترمذي وأبو ماجة.

[9] علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص13.

[10] سورة الكهف، الآية 66.

[11] سورة قريش، الآية 2.

[12] شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، ط4، القاهرة، (د ت)، ص9.

[13] الحسن الشاهدي، أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني، دار عكاظ للطباعة والنشر، ج1، 1990، ص 52.

[14] سميرة انساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية، أطروحة دكتوراه، إشراف: الشريف مريبعي، جامعة الجزائر، 2007/2006، ص20.

[15] شوقي ضيف، الرحلات، مرجع سابق، ص9.

[16] ينظر: إبراهيم عبد القادر المازني، رحلة الشام، مرجع سابق، ص61 وما بعدها.

[17] أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري التلمساني إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، (د ط)، سيدي بلعباس، الجزائر، 2004، ص9.

[18] عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة "لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال"، تح: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، (د ط)،الجزائر، 1983، ص13.

[19]المرجع نفسه، ص 23، 24.

[20] الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2008، ج1، ص3.

[21] المرجع نفسه، ص15 وما بعدها

[22]محمد أبوراس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ت)، ص التصدير.

[23] المرجع نفسه، (ص ن).

[24] محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج4، ص35.

[25] مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط2، دمشق، سورية، 1984، ص172.

[26] المرجع نفسه، ص175.

[27] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ط)، الجزائر، 1983، ص209.

[28] سوسن سكي وسبتي فايزة، تطبيقات الإعلام الجديد في مجال التعليم العالي المدوّنات التعليمية الإلكترونية نموذجا، مركز جيل البحث العلمي، تاريخ الزيارة 2021/04/24، Am11:46.

[29] نقلا عن: خديجة الرحية، صحافة المواطن، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، الجمهورية العربية السورية، 2020، ص29.

[30] نقلا عن: وفاء عابد وسناء صالح، فاعلية المشاركة في مدوّنة إلكترونية للأنشطة غير الصفية في تنمية مهارات التفكير الناقد لدى طالبات الصف الثالث الثانوي بمدينة جدّة، مجلة العلوم التربوية والنفسية، المجلد 4، العدد 16، 2020، ص75.

[31] ينظر: زعيم نجود، التدوين الإلكتروني في الجزائر الواقع والتحديات، مخطوط ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، 2012/2011، ص72 وما بعدها.

[32] أسما قدح، مدوّنة أسما قدح، بتاريخ 2021/04/24، https://a-qadah.blog

[33] عائشة جاسم الكواري، أدب الرحلات المعاصر، جريدة الشرق، اطلع عليه بتاريخ 2021/04/25، https://al-sharq.com/opinion.

[34] ينظر: عبير خالد، أدب الرحلات الذرائعي، مودرن إجيبت، اطلع عليه بتاريخ 2021/04/25، https://modernegypt24.com

[35] المرجع نفسه، ص121 وما بعدها.

[36] إبراهيم أحمد ملحم، الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2013، ص8.

[37] فليب بوطز، ما الأدب الرقمي؟، تر: محمد أسليم، مجلة علامات، المغرب، العدد 35، 2011، ص103.

[38] عمر زرفاوي، الكتابة الزرقاء مدخل إلى الأدب التفاعلي، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، العدد56، أكتوبر 2013، ص194.